الفصل الأول

الجملة الاسمية القصيرة في السيرة

المبحث الأول: عناصر بناء الجملة الاسمية

من المعروف أن البنية الأساسية للجملة الاسمية في أكثر صورها هي (المبتدأ والخبر)، فالمبتدأ والخبر وظيفتان نحويتان تمثلان العلاقات النحوية بين العناصر التي تشغل هذه الوظائف.

وكل تعريفات النحاة للمبتدأ قامت على إدراكهم للبنية الأساسية، وشروط شغل العنصر لتلك الوظيفة، وكذلك السمات التركيبية للعنصر الذي يشغل تلك الوظيفة والأحكام المترتبة على شغله لها.[1]

والعناصر التي تبنى منها الجملة الاسمية على قسمين: عناصر لفظية وهي الكلمات، وعناصر معنوية وهي التي تسمى الوظائف النحوية، وتنشأ بين العناصر اللفظية بموجب العلاقات القائمة بين تلك العناصر في التركيب. [2]

أولاً: العناصر الأساسية للجملة الاسمية:

العناصر المعنوية الأساسية في الجملة الاسمية هما عنصران: (المبتدأ والخبر)، و يعرف النحاة المبتدأ بأنه: «اسم أو ما هو بمنزلته، مجرد عن العوامل اللفظية مخبر عنه، أو وصف رافع لمكتف به.»[3]، ومن تعريفات الخبر: «أنه ما يصح السكوت عليه بعد المبتدأ» [4]، وقيل: هو الجزء الذي حصلت به الفائدة مع مبتدأ غير الوصف المعتمد على نفي أو استفهام، وقيل: «هو لفظ مجرد من العوامل اللفظية مسند إلى ما تقدم لفظاً نحو: (زيد قائم)، أو تقديراً نحو: (أقائم زيد) [5].

ولا يسميان (مبتدأ وخبرا) إلا إذا حصل بينهما إسناد، وإذا أسند أحدهما إلى الآخر حصلت الفائدة، وترتب على ذلك أحكام لهما هي:

1. الركنية:

---

(1) اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، الهيأة المصرية للكتاب، ط3،1985م، (192).

(2) الوظيفة النحوية:هي الدور الذي يلعبه عنصر من العناصر في البنية النحوية، أو هي معاني الأبواب النحوية،وتتضح من خلال العلاقات التي تربط بين مكونات بنية معينة، انظر: أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، فاضل مصطفى الساقي، مكتبة الخانجي - القاهرة، 1977م، (212)، اللسانيات العامة وقضايا العربية، مصطفى حركات، الدار الثقافية - القاهرة، ط1، 1998م،(139).

(3) أوضح المسالك في ألفية ابن مالك لابن هشام الأنصاري، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل - بيروت، ط1979م، (184/1).

(4) التعريفات (66).

(5) أوضح المسالك (194/1)،

والركن «هو الأساس الذي يقوم عليه الشيء وركن الشيء هو جانبه الأقوى»[1]، ويصدق على هذا المصطلح ما يعرف عند النحاة بمصطلح العمدة فالمبتدأ والخبر عمدتان، أي ركنان أساسيان، والعمدة عند النحاة: «ما عَدَمُ الاستغناء عنه أصلٌ لا عارض»[2].

وفيما ذكره النحاة دلالة على أن المبتدأ والخبر ركنان أساسيان لا تقوم الجملة الاسمية إلا بهما، وهذا في التحليل الشكلي أما الفائدة فقد تتم بركن واحد.

2. التلازم:

فالمبتدأ والخبر متلازمان، وجود أحدهما يستلزم وجود الآخر؛لذلك إذا وجد أحدهما في ظاهر اللفظ وغاب الآخر قُدِّر ذلك الغائب بحسب بناء الجملة في البنية الأساسية، والتلازم يشكل ظاهرة في النحو العربي وليس مقصوراً على المبتدأ أو الخبر.

3. الرفع:

ويترتب على كون المبتدأ والخبر عمدتين استحقاقهما للرفع، قال الرضى: فالأولى أن يقال: «الرفع عَلَمُ كون الاسم عمدة الكلام ولا يكون في غير العُمد.»[3]

4. التطابق:

وكلمة(زيد) - على سبيل المثال - من سماتها أنها للمفرد المذكر، فإذا حلت في تركيب مبتدأ يجب أن يكون خبرها حاملا لنفس السمات(مفردا مذكرا) ليتحقق التطابق، «ووظيفة التطابق تقوم بها الصيغة و اللواصق (المورفيمات الصوتية) مثل الضمائر المتصلة»[4] فتقول «زيد قائم» ونقول: الزيدان قائمان...الخ، هذا إذا كان المبتدأ اسماً ظاهراً، ومثله في التطابق: إذا كان المبتدأ ضميراً نحو: أنت حرٌ، وأنتِ حرة، وهما قائمان..الخ.

ويستثنى التطابق - الذي هو الأصل الغالب- بين المبتدأ والخبر في حالتين:

1- إذا كانت الصيغة قد استخدمتها العرب للمذكر والمؤنث معاً، وللمفرد والجمع معاً، فمن الأول: أنتَ صبور وأنتِ صبور، وأنت جريح وأنتِ جريح[5]، ومن فصيغتا (فعيل و فعول) تستخدمان للمذكر والمؤنث معاً، وصيغة (فعيل) قد تستخدم للمفرد والجمع.

2- إذا كان المبتدأ اسماً أو ما هو بمنزلته وهو قابل للتقسيم ويكون الخبر أقساماً، ففي هذه الحالة لا يشترط التطابق اللفظي مثل:الكتاب جزآن، الدهر يومان: يوم لك ويوم عليك، فلا يكون ثمة تطابق بين العنصرين من جهة اللفظ، أما من جهة المعنى فهناك علاقة بينهما في المثال السابق وهي دخول الخبر في أقسام المبتدأ، ويصدق هذا على كل ما كان الخبر فيه جزءاً أو أجزاءً من المبتدأ.

---

(1) لسان العرب لابن منظور، (ركن)(305/5).
(2) المساعد (6/2).
(3) شرح الكافية (24/1).
(4) اللغة العربية معناها ومبناها، (211).
(5) الكواكب الدرية على متممة الآجرومية، محمد بن عبد الباري الأهدل، مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت، ط5، 1995م، (177/1).

3- إذا كان المبتدأ وصفاً معتمداً على نفي أو استفهام - على قول البصريين عدا الأخفش الأوسط - مكتفياً بمرفوعه فإنه إذا تطابقا في الإفراد أو التثنية أو الجمع فهو حسب الأصل « وأما إذا لم يتطابقا فإما أن يكون ممنوعاً مثل: أقائمون زيد... فهذا لا يجوز أو غير ممنوع مثل: أقائم الزيدون»، [1] وفي هذه الحالة يقوم بوظيفة التطابق صيغة (قائم) لأنها تدل على مجرد حدوث القيام وقد يشترك في ذلك القليل والكثير وهو مثل: (قام الرجال، وقام الرجل).

5. الترابط البنائي:

لا يصح تسمية (المبتدأ والخبر) بهذين الاسمين إلا بالترابط بينهما، والترابط على قسمين:

أ) الترابط المعنوي: وهو رباط ليس له صورة في اللفظ، وإنما يدرك من السياق، وهو الذي يوسم بالإسناد، فعلاقة الإسناد هي الرابط الأساسي بين ركني الجملة، قال أبو حيان: «اعلم أن الخبر مرتبط بالمبتدأ ارتباط المحكوم به بالمحكوم عليه فلا يحتاج إلى حرف يربط بينهما»[2] فلا يمكن أن تكون هناك جملة اسمية بدون إسناد، فالإسناد قرينة معنوية تربط بين عنصري الجملة.

ب) الترابط اللفظي: إذا استطالت الجملة فإنها قد تحتاج إلى رابط لفظي يظهر في اللفظ، مثل: (زيد أبوه قائم)، وقد يقدر أحياناً، مثل: (زيد يذهب)، مع ملاحظة أن هذا الرابط اللفظي يحمل السمات التركيبة للعنصر المستقل في الجملة الاسمية (المبتدأ) أو المسند إليه، والروابط اللفظية التي ذكرها النحاة في النظام النحوي هي:

أ) الضمير المتصل:

والربط بالضمير هو الأصل عند النحاة «الأصل في الرابط أن يكون ضميراً مذكوراً أو مستترا »[3]، وهذا الضمير يحمل السمات التركيبية للعنصرين الذين يربط بينهما؛ فهو لذلك يشير إلى سماتهما التركيبية من حيث العدد والنوع إضافة إلى وظيفة الربط بين العنصرين[4].

---

(1) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك،تح: محمود مصطفى حلاوي،ط1، دار إحياء التراث العربي - بيروت 1996م،126/1.

(2) ارتشاف الضرب من لسان العرب،لأبي حيان الأندلسي،تح:مصطفى أحمد النماس، مطبعة المدني - القاهرة، ط1، 1987م،(176/2).

(3) الكواكب الدرية ص126/1

(4) اللغة العربية معناها ومبناها ص215.

ويتم الربط بالضمير المتصل في حالات هي:

1) إذا كان الخبر جملة اسمية مستقلة عن المبتدأ مثل:(زيد أبوه قائم) فالرابط هنا الضمير في (أبوه).
2) إذا كان الخبر جملة فعلية مثل: (زيد قام أبوه) والرابط فيها الضمير في (أبوه)، وكذلك: (زيد قام)، فالضمير مستتر في (قام).
3) إذا كان الخبر شبه جملة (ظرفا أو جارا ومجرورا)، فإن كان معهما ما يتعلقان به، فالضمير مقدر مع ذلك المتعلِّق، وإن لم يكن لهما متعلق فلا حاجة إلى الضمير، والحالات السابقة يلاحظ فيها استطالة الجملة فلم تقتصر على المبتدأ والخبر المفرد.

- تحمل الخبر الجامد والمشتق للضمير: يرى بعض النحاة أن الخبر إذا كان اسما جامدا فإنه يتحمل الضمير، فقولنا: زيد أخوك يؤول عندهم بمعنى قريبك، والتكلف فيه واضح، فالنحاة من أجل أن يتفق ذلك مع قاعدتهم أوَّلوا الجامد بالمشتق، لكي يستقيم لهم تقدير الضمير، وفيه بعد واضح.

وأما إذا كان الخبر مشتقا فهناك اتفاق بين النحاة على أنه يتحمل ضميرا. [1]

والذي يترجح عند الباحث أنه لا يُحتاج إلى تقدير الضمير أيضا مع المشتق؛ لأن الترابط بين ركني الجملة حاصل من دونه وتقديره زيادة عن الحاجة، وهذا الضمير لا يحتاج إليه إلا إذا حصل لبس، أو أجري الخبر على غير ما هوله على حد تعبير النحاة، مثل: «يا صاحب الرمانة الفالقها هو»[2]، و مثل: (زيد عمرو ضاربه هو).

وقد يظهر لغرض الحصر مثل: «محمد مسافر، محمد ما مسافر إلا هو»[3]، وإذا ظهر في غير ذلك فقد اختلف فيه، أيكون توكيدا أم فاعلا. [4]

---

(1) الأصول في النحو لابن السراج،تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة - بيروت،ط1، 1985م (70/1)، و الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنبا ري تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط4، دار إحياء التراث ـ بيروت،د.ت،(56/1).

(2) مجالس ثعلب، لأبي العباس: أحمد بن يحيى، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف ـ القاهرة، ط5، د.ت(309/1).

(3) تحقيقات نحوية، د. فاضل السامرائي، دار الفكر ـ عمان،ط1، 2001م،(62).

(4) حاشية ياسين الحمصي على شرح التصريح على التوضيح، دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة، د.ت،(168/1).

ب) اسم الإشارة:

ذكر النحاة من روابط الجملة التي هي خبر عن المبتدأ اسم الإشارة، وقد ورد من ذلك في القرآن ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [1]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [2] وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [3].

ويرى بعض الباحثين المحدثين أن اسم الإشارة من الضمائر ويسميه ضمير إشارة [4]، والحقيقة أن هناك شبها في هذه الوظيفة بين الضمير واسم الإشارة، وتشعر هذه الأسماء بضرب من التوكيد عند استخدامها للربط مع الإشارة إلى المبتدأ.

وقد يرد اسم الإشارة في موطنٍ يتوهم فيه أنه للربط بين المبتدأ وجملة الخبر، مع أنه إذا سقط تبقى رابطة الإسناد قائمة، ولا تتأثر الجملة بشيء، ويعني ذلك أنه يرد لمعنى بلاغي مثل التوكيد والحصر وذلك في مثل قوله تعالى: {وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ} فيصح في غير الآية أن يقال «ولباس التقوى خيرٌ» ولا تتأثر الجملة، ويدل هذا على أن اسم الإشارة جاء هنا للتوكيد والحصر، وإنما لم تتأثر رابطة الإسناد بعد إسقاط اسم الإشارة؛ لأن الجملة قصيرة بدون اسم الإشارة، ولا يستقيم ذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [5].

فلا يستقيم الكلام إذا أسقط اسم الإشارة في الآية، ولا تبقى رابطة هناك من إسناد أو غيره؛ ولذلك تكون وظيفة اسم الإشارة في مثل ذلك الربط لاستطالة الجملة، ولعدم اقتصارها على المبتدأ والخبر المفردين، فقد استطالت بالصلة و المعطوف والجملة الاعتراضية.

ونخلص من ذلك إلى أن اسم الإشارة يؤدي الربط اللفظي عندما تكون في الجملة استطالة من دونه، أما إذا كانت الجملة قصيرة من دونه فيكون للتوكيد والحصر.

---

(1) الأعراف (26).
(2) الإسراء (36).
(3) الأعراف (36).
(4) اللغة العربية معناها ومبناها، (109).
(5) الأعراف (42).

ج) ضمير الفصل:

بُسِط الخلاف في تسمية هذا الضمير بين (الفصل والعماد)، والتسمية الأولى للبصريين والثانية للكوفيين[1]، وليس مطلوباً هنا أن نبسط القول في ذلك الخلاف، وإنما نذكر وظيفة ذلك الضمير من حيث الربط بين المبتدأ والخبر، ووظيفته في السياق من حيث المعنى، فعندما تلاحظ هذه الجمل: (زيد عاقل ـ زيد هو عاقل ـ زيد العاقل ـ زيد هو العاقل).

فإن الجملة الأولى من دون الضمير جملة خبرية مجردة من أي مؤكد والعلاقة الإسنادية قائمة من دونه، وأما الجملة الثانية فهي محولة عن الأولى وإنما أضيف الضمير لإضافة التوكيد لهذه الجملة الخبرية، أما الجملة الثالثة فليس فيها ضمير وفي مجيء الخبر معرفاً بـ(أل) مع المبتدأ المعرفة إفادة الحصر، [2] ولكنّ الجملة تشعر بعدم تمامها؛ لاحتمال أن يكون (العاقل) صفة والخبر لم يأت بعد؛ لذلك نحتاج في مثل هذا المقام إلى رفع الاحتمال فيؤتى بالضمير ليتأكد أن العاقل هو الخبر، [3] فيقوم الضمير بتدعيم الإسناد في الربط، وهذا الذي جعل الكوفيين يسمونه (عماداً) فقد نظروا إلى دعمه لعلاقة الإسناد.

وأما وظيفة رفع الاحتمال التي يقوم بها الضمير فهي التي بنى عليها البصريون تسميتهم له (فصلاً) أي يفصل بين الصفة والخبر.

والحقيقة أنه في مثل هذه الحالة يقوم بالوظيفتين بتدعيم علاقة الإسناد ورفع الاحتمال أو الفصل بين الصفة والخبر.

ولينظر إلى جملة: «هذا الفوز العظيم» ففيه يحتمل أن يكون الفوز خبراً والعظيم صفةً ويحتمل أن يكون الفوز بدلاً والعظيم خبراً، فإن جئت بضمير الفصل تعين الخبر، ورُفع الاحتمال، فيتعين الخبر ما بعد الضمير مثل: (هذا هو الفوز العظيم) أو (هذا الفوز هو العظيم).[4]

---

(1) كتاب سيبويه، تح: عبد السلام هارون، عالم الكتب ت بيروت،ط3،1983م، (2/397،387)، ومعاني القرآن للفراء، تح: يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، عالم الكتب - بيروت، ط2،1980م، (1/51).

(2) حاشية الدسوقي على مغني اللبيب،تح: عبد السلام أمين، دار الكتب العلمية - بيروت،2000م، (2/140).

(3) الجملة العربية والمعنى د. فاضل السامرائي، دار الفكر، 2003م، (267).

(4) الجملة العربية والمعنى (267).

د) الفاء (فيما يشبه الشرط):

أشار النحاة إلى دخول الفاء على خبر المبتدأ وجوباً بعد أمّا نحو:أما زيد فمنطلق، وحذفها لا يكون إلا لضرورة أو إذا أغنى عن القول المقول[1]، كقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾.[2]

وأما دخولها جوازاً مع الخبر فيكون فيما يشبه الشرط وذلك في مواطن محددة عندما يكون المبتدأ أحد هذه الأنواع:-

1) الوصف المقترن بـ(أل) الموصولة التي تفيد العموم مثل: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا ﴾[3] وهذا مذهب الكوفيين، قال الفراء: «وإنما تختار العرب الرفع في (السارق والسارقة) لأنهما غير مؤقتين فوُجّها توجيه الجزاء»[4]
وسيبويه يمنع دخول الفاء في خبر المبتدأ المعرف بـ(أل) الموصولة وخرج هذه الآية على حذف الخبر، وتقديره(فيما فرض الله عليكم).[5]

2) الموصول الذي يشبه الشرط وصلته شبه جملة مثل:

مـــا لـــدى الحـــازمِ اللبيـــبِ معـــــاراً

فمصـــــونٌ ومـــــالهُ قـــــد يضِـــــيعُ[6]

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [7].

3) الموصول الذي صلته جملة فعلية فعلها صالح للشرط كقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [8].

4) النكرة العامة الموصوفة بشبه الجملة أو الفعل الصالح للشرطية نحو: (رجل عنده حزم فسعيد، وعدٌ لِكريمٍ فما يضيع، ونفس تسعى في نجاتها فلن تخيب).

5) لفظ (كل) المضاف إلى نكرة ومشعر بالمجازاة مثل: (كل رجل عنده حزم فسعيد).

---

(1) الجنى الداني في حروف المعاني، لحسن بن قاسم المرادي،تح: طه محسن،دار الكتاب - جامعة الموصل، 1976م،(483).
(2) المائدة (38).
(3) المائدة (38).
(4) معاني القرآن(306/1).
(5) الكتاب (143/1).
(6) قائله مجهول، والشاهد فيه جواز اقتران خبر المبتدأ الواقع موصولا غير(أل)بالفاء، إذا كان الخبر ظرفا يصلح للشرط،انظر همع الهوامع (56/2)، وانظر الدرر اللوامع على همع الهوامع، لأحمد بن الأمين الشنقيطي،دار المعرفة - بيروت،ط1975م،(79/1).
(7) النحل (53).
(8) الشورى (30).

6) الاسم الموصوف بموصول فيه معنى الشرط مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ﴾ [1].

7) الاسم المضاف إلى موصول فيه معنى الشرط مثل: (غلام الذي يأتيني فله درهم).

8) لفظ (كل) مضاف إلى غير موصوف كقول بعض السلف: (كل نعمة فمن الله) أو مضاف إلى موصول غير ما ذكر مثل:

كـــــل أمـــــر مبـــــاعدٍ أو مـــــدانٍ

فمـــــنوط بحكمـــــة المتعـــــالي[2]

«وتزيل هذه الفاء نواسخ الابتداء إلاَّ (إنّ و أنّ ولكنّ) على الأصح... وذلك لزوال شبه المبتدأ حينئذٍ بأداة الشرط... إلاّ إذا لم يتغير المعنى فتبقى جوازاً، فلا يقال: كان الذي يأتيني فله درهم.» [3]

ويعلل النحاة مجيء الفاء في جواب (أما) لأنها بمعنى (مهما)، والذي يترجح أن هناك فرقاً بينهما، فأدوات الشرط تربط جملة بأخرى، و(أما) ليس كذلك، فهي تشبه أدوات الشرط من حيث الربط لا من حيث التركيب والدلالة. [4]

ولذلك تكون لرفع الاحتمال ولتعيين الخبر.[5]

الربط بالفاء في غير تلك المواضع:

أجاز الأخفش دخول الفاء مع خبر المبتدأ الذي لا يشبه الشرط، نحو: زيد فمنطلق، وهي عنده زائدة في مثل هذا المواطن، وخالفه ابن مالك، وقال (لا حجة له) [6].

ويترجح عند الباحث جواز دخولها في مثل هذا الموطن، وليس كما قال ابن مالك، وقد ورد به النقل في السيرة من قول هند بنت أثاثة:

وَيَذْرُك السُّوء فَتَشَرُّ يَذْرِ [7]

الربط بشمول المعنى:

---

(1) النور (60).

(2) قائله مجهول، والشاهد فيه جواز اقتران الخبر بالفاء إذا كان المبتدأ (كل) مضافة إلى غير ما تقدم،انظر همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، (59/2)، وانظر الدرر اللوامع على همع الهوامع، (79/1).

(3) المساعد (247/2).

(4) رصف المباني في شرح حروف المعاني،لأحمد نور الدين المالقي، تح: أحمد الخراط،دار القلم - دمشق،ط2، 1985م، (182).

(5) الجملة العربية والمعنى (266).

(6) المساعد (246/2).

(7) السيرة النبوية (102/3).

و من ذلك إذا كان في الخبر عموم يشمل المبتدأ، فقد ذكر النحاة أن جملة الخبر لا تحتاج إلى رابط لفظي ويكتفى بالإسناد في حالة وجود اتحاد في المعنى بين المبتدأ وخبره الجملة، فقد قيل: «إن كانت الجملة عين المبتدأ جاز خلوها من الرابط، وذلك بأن تقع خبراً عن مفرد يدل على جملة كالحديث والخبر والشأن والكلام والقول واللفظ والأمر والقصة والحكاية وضمير الشأن وخبر المضاف إلى مفرد كذلك كخير الكلام: لا إله إلاّ الله.» [1]

ثانياً: العناصر اللفظية في بناء الجملة الاسمية القصيرة

يذكر النحاة أصلاً للتركيب النحوي للجملة الاسمية، أو الفئات النحوية التي تحل محل المبتدأ أو الخبر من حيث التنكير والتعريف، هو أن الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة والأصل في الخبر أن يكون نكرة.

قال سيبويه عن الكلام:« أحسنه إذا اجتمع نكرة ومعرفة أن يبتدأ بالأعرف، وهو أصل الكلام»، [2] وذكر ابن السراج أن المبتدأ والخبر من جهة معرفتهما أو نكرتهما أربعة أصناف: وذكر منها أن يكون المبتدأ معرفة والخبر نكرة، قال: «وهو الذي ينبغي أن يكون عليه أصل الكلام»[3]

وقد ذكرنا سابقا العناصر المعنوية التي تشكل الجملة الاسمية في بنيتها العميقة، وما يتعلق بذلك من روابط وسنذكر هنا العناصر اللفظية التي تحل محل الركنين (المبتدأ والخبر) في جملة اسمية قصيرة وهي:

1. العَلَـــــم: وينقسم إلى أقسام بحسبانات عدة:

الحسبان الأول: تشخص المعنى من عدمه:

أ) علم الشخص: و هو ما دل بحسب وضعه على مفرد معين، فلا يتناول غيره من أفراد جنسه وذلك نحو: محمد، فاطمة، مكة، دجلة، قريش، ويطلق علم الشخص على العاقل وغيره من الحيوان أو الجماد أو غير ذلك نحو: جعفر، وسعاد، وعدن، ولاحق (اسم فرس) وشذقم (اسم جمل).[4]

ب ـ علم الجنس: وهو الذي لا يختص بواحد دون آخر من أفراد جنسه، فهو يدل على غير معيّن، فشأنه شأن النكرة في دلالته على الجنس، مثل: (أسامة) للأسد، و(أبو الحصين وثعالة) للثعلب.[5]

الحسبان الثاني:أصالته في العلمية من عدمها

العلم المرتجل والمنقول:

---

(1) الكواكب الدرية(186/1).
(2) الكتاب (128).
(3)الأصول في النحو(1 /65).
(4) السابق (158).
(5) جامع الدروس (109/1)، معاني النحو، فاضل السامرائي، دار الفكر - عمان، ط2/ 2002م (72/1)، المصطلحات النحوية والصرفية، د.محمد سمير نجيب اللبدي، دار الفرقان - عمان، ومؤسسة الرسالة - بيروت، ط1،1985م، (113).

أ) المرتجل: ما استعمل أول مرة علما، ولم يستعمل من قبل ذلك في غير العلمية مثل: سعاد.
ب) المنقول: هو الذي استعمل في غير العلمية أولاً ثم نقل إلى العلمية، مثل الصفة كـ(الحارث) أو المصدر نحو(فضل)، أو اسم الجنس نحو(أسد).[1]

ويكون النقل من جملة فعلية أو اسمية، ومما نقل من الفعلية(شاب قرناها).

وقال النحاة إنه لم يسمع منقولا من الجملة الاسمية، وإنما أجازوا النقل بالقياس على الفعلية، والصحيح أنه ورد النقل به، فقد جاء في السيرة علم منقول من الاسمية، وهو (أحمر بأساً)، وذلك في قول ابن إسحاق عن بعض العرب: «كان معنا رجل يقال له أحمر بأساً.»[2]

(1) النحو الوافي(302/1).
(2)السيرة (62/4).

الحسبان الثالث:من حيث اللفظ:العلم المفرد والمركب:

أ) المفرد نحو: خالد، شمس.

ب) والمركب أنواع:

1) المركب تركيباً مزجياً نحو: بعلبك، حضرموت.

2) المركب تركيباً إضافياً نحو: عبد الله، أبي قحافة، أم الفضل.

3) المركب تركيباً إسنادياً نحو: جاد المولى، وبرق نحره.[1]

الحسبان الرابع: زيادة معناه على العلمية من عدمها (الاسم واللقب والكنية):

الاسم نحو: سعد، واللقب نحو: زين العابدين، والكنية نحو: أم سعد، وأبو عبادة.

2. الضمير:

وهو ما دل من اللفظ على متكلم أو مخاطب أو غائب، والضمائر التي تحل محل المبتدأ هي ضمائر الرفع المنفصلة وهي:

(أنا ونحن) للمتكلم، و(أنت و أنتِ وأنتما و أنتم وأنتنّ) لأنواع المخاطب، و(هو وهي وهما وهم وهنّ) لأنواع الغائب، وقد يأتي ضمير الرفع المنفصل خبرا عند اتحاد الخبر مع المبتدأ في اللفظ.[2]

والمسألة الزنبورية مشهورة عند النحاة، وفيها المبتدأ والخبر ضميرا رفع منفصلان بعد إذا الفجائية، وهي قولهم: قد كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي، على مذهب سيبويه وهي مسألة خلافية[3].

والجملة تقوم على تشبيه العقرب بالزنبور بأن تكون أشد لسعة منه، أو مثله في اللسع أو أدنى منه فيه، وجواب ذلك يجب أن يكون بحسب السياق فإذا هي أشد منه، أو مثله أو أدنى منه، أي فإذا هي أشد أو فإذا هي هو أو إياه أو فإذا هي أدنى منه.

فبناء الجواب الصحيح: فإذا هي هو أو إياه، وليس فإذا هو هي أو إياها، ولعل هذه المسألة من صنع النحاة.

3. اسم الإشارة:

وهو الاسم المبهم الموضوع لمشار إليه إشارة حسية بأحد الأعضاء وهي:[4]

للمفرد المذكر: (ذا وذاك وذلك).

وللمفرد المؤنث: (ذي وتي وتا وذِهِ وذهْ وتهِ وتهْ وذهي وتهي وذات وتك وتيك وذيك وذياك وذيالك وتلك وتالك).

وللمثنى: (ذان وتان ذين وتين وذانك وتانك وذينك وتينك).

وللجمع: (أُلى) بالقصر و(أولاء) بالمد.

وقد تسبق هذه الأسماء (ها) للتنبيه كما تلحق بها كاف الخطاب ولا تجتمعان، ويشار للأماكن بـ (هنا).

---

(1) المصطلحات النحوية (159).

(2) الكتاب (359/2).

(3) معنى اللبيب (121).

(4) همع الهوامع (257،258/1).

وللمشار إليه مراتب مكانية: قريبة ووسيطة وبعيدة، ومما يشار به وهو ظرف: هنا، وثَمّ.
ومثلما يأتي اسم الإشارة مسندا إليه يصح مجيئه خبرا مثل:(هأنذا و هأنت ذا).
وتأتي (هنا) خبرا وهي ظرف يجب تقديمه إذا سبقه حرف التنبيه، وتأتي (ثَمَّ) خبرا واجب التقديم مثل: (ثَمَّ مقرُّ الساحة)، أي:هناك.[1]

4. المضاف إلى معرفة:

الإضافة في اللغة: إمالة شيء إلى شيء أو إسناده إليه. [2]

وفي الاصطلاح: هي إسناد اسم على اسم آخر، أو تركيبهما ليصيرا مركبا واحدا يكون الثاني من الأول بمنزلة تنوينه. [3]

(1) النحو الوافي (302/1،203).
(2) أساس البلاغة لجار الله الزمخشري، تح: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة - بيروت، 1979م، (273)، لسان العرب (109/8)، (ضيف).
(3) التعريفات (28)، أوضح المسالك (81/3).

والإضافة نوعان:

أ) معنوية: وهي التي لا يكون فيها المضاف وصفا يشبه الفعل، وتفيد الاسم الأول تخصيصا إذا كان المضاف إليه نكرة، نحو: هذا غلام امرأة، وتفيده تعريفا إذا كان المضاف إليه معرفة، نحو: هذا غلام زيد، ولذلك تسمى بالمعنوية؛ لأن فائدتها تعود إلى المعنى لا إلى اللفظ، وتسمى بالمحضة، أي الخالصة من نية الانفصال.

ب) لفظية: وهي ما كان المضاف فيها وصفاً دالاً على مضيّ، وهو كل اسم فاعل أو اسم مفعول، أو صفة مشبهة، نحو: هذا ضاربُ زيدٍ، وهذا مضروبُ الأبِ، وهذا حسنُ الوجهِ. [1]

5. المعرف بـ(أل).

(أل) حرف تعريف تدخل على الأسماء وهي نوعان: العهدية والجنسية.

أ) العهدية: وهي ثلاثة أقسام بحسب نوع العهد.

1) العهد الذكري:وهو الذي تدخل فيه على اسم قد سبق ذكره منكرا، نحو: نزل مطر فأنعش المطر الزرع، و(أل) هذه بمنزلة الضمير، وما تعود عليه بمنزلة المرجع، فهي تفيد الربط، وأنّ ما دخلت عليه هو مدلول النكرة سابقا، فـ(مطر والمطر) واحد في الجملة، ولو قيل: نزل مطر فأنعش مطر الزرع، لكانا مختلفين.

2) العهد الذهني: وهو العلم بالشيء في زمن سابق لزمن الكلام، ويكون هذا في موقف كلامي يفيد العلم بالشيء، ولا يكون له ذكر مسبق في كلام، ومثله كأن يسأل طالب زميلا له: ما أخبار الكلية؟، فـ(أل) في الكلية للعهد الذهني؛ لأن الكلية معهودة لهما من قبل.

3) العهد الحضوري، وهو الذي تكون فيه (أل) بصدر الكلمات التي بعد أسماء الإشارة، نحو: هذا الرجل، أو بعد (أي) في النداء، نحو: يا أيُّها الرجل.

ب) الجنسية:

وهي التي تدخل على نكرة تفيد معنى الجنس المحض، كقوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[2] ومعناها كمعنى (كل) على الحقيقة، وقد تدخل (أل) الجنسية على اسم فتفيده الشمول على سبيل المبالغة والمجاز، نحو: أنت الرجل علما، [3] ويأتي المعرف بـ(أل) عنصرا في بناء الجملة الاسمية إما مبتدأ أو خبرا.

6. الصفة:

---

(1) أوضح المسالك (81/3)، النحو الوافي (302/1)، المصطلحات النحوية(137).

(2) النساء (28).

(3) مغني اللبيب (73)، النحو الوافي (423/1-426).

ونعني بها اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، وصيغ المبالغة، واسم التفضيل، وهي تدل على موصوف بما تحمله من معنى الحدث (المصدر)[1]، وتعد قسما بذاته مختلفا عن الاسم عند بعض المحدثين.[2]

وتأتي إحدى تلك الصفات في بناء جمله اسمية، وقد تكون تلك الجملة قصيرة إذا صيغت الصفة من فعل لازم لا يتطلب مفعولاً به، أما إذا تطلب مفعولا به فتصبح الجملة مستطيلة.

وإذا جاء اسم فاعل أو اسم المفعول أو صيغ المبالغة في صدر الجملة فلا يكون مسنداً إليه (مبتدأ) عاملا عمل فعله إلا بشروط هي:

أن يكتفي بمرفوعه، وأن يتقدمه نفي أو استفهام، وأن يكون دالا على الحال والاستقبال.

وتقدم النفي أو الاستفهام شرط عند البصريين في عمل اسم الفاعل و اسم المفعول إذا كان نكرة، والكوفيون لا يشترطون ذلك.[3]

و إذا كان الوصف معرفا بـ(أل) فإنه يعمل مطلقا عمل فعله، نحو: هذا الضارب زيداً، وأما إذا أضيف فإنه لا يكون وصفا يعمل عمل الفعل، نحو: هذا ضاربُ زيدٍ.

وقد فصل النحاة أحوال الوصف مع مرفوعه إلى ثلاثة:

1) أن يكون الوصف خبرا مقدما و المرفوع بعده مبتدأ مؤخرا، و ذلك إذا كان الوصف و المرفوع مثنيين نحو (أقائمان الزيدان) أو مجموعين نحو: (أقائمون الزيدون)، و إنما لم يجز في هاتين الحالتين أن يكون الوصف مبتدأ والمرفوع فاعلا أغنى عن الخبر؛ لأن العامل في الفاعل لا تتصل به علامة التثنية، ولا علامة جمع على الفصيح من لغات العرب، فإن جرت على غير الفصيح و هو المعروف بلغة(أكلوني البراغيث)جاز ذلك.[4]

و هذا فيه نظر فإن ما عدوه غير فصيح جاء به القرآن الكريم[5] في قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ [6]، وهذا يوقعنا في محذور.

والأرجح أن العرب استخدمت اللغتين، والقول ما قالته العرب لا ما تأوله النحاة، وعليه شواهد كثيرة من الشعر العربي.

2) أن يكون الوصف مبتدأ و المرفوع فاعلا، و هذا إذا كان الوصف مفردا و المرفوع مثنى، نحو:(أقائم الزيدان) أو جمعا، نحو: (أقائم الزيدون) وإنما لم يجز

---

(1) اللغة العربية معناها ومبناها (99).
(2) السابق (100).
(3) أوضح المسالك (188/1).
(4) السابق (193/1).
(5) معاني القرآن للأخفش: سعيد بن مسعدة، تح: عبد الأمير الورد، عالم الكتب - بيروت، ط1، 1985م، (632/2).
(6) الأنبياء (3).

هنـا أن يكـون الوصـف خبـرا و المرفـوع مبتـدأ مـؤخرا؛ لأنـه لا يجـوز الإخبـار بالمفرد المقابل للتثنية والجمع عن المثنى أو المجموع.

3) أن يجـوز الأمـران وذلـك فـي صـورة واحـدة، و هـي التـي يـأتي فيهـا الوصـف والمرفوع مفردين.

المبحث الثاني

أنماط بناء الجملة القصيرة في السيرة النبوية

مفهوم النمط:

قال الزمخشري: «الزمْ هذا النمط أي الطريقة والمذهب...، وعندي متاع من هذا النمط أي النوع»[1]، وجاء في لسان العرب «النمط:جماعة من الناس أمرهم واحد وفي الحديث خير الناس هذا النمط الأوسط، والنمط أيضا الضرب من الضروب أو النوع من الأنواع، ويقال: ليس هذا من ذلك النمط إنما من ذلك النوع والضرب.»[2]

و بذلك يكون للنمط معنيان، **الأول:** هو الجماعة أو المجموعة من الأشياء المشتركة في أمر واحد.

والثاني: هو الشيء الذي ينتمي إلى جماعة من الأشياء لصفة مشتركة بينهم.

وقد استخدم بعض الباحثين هذا المصطلح كما أشار عودة خليل أبو عودة و استخدمه هو أيضا وعرّفه نقلا عن غيره «بأنه القالب الذي يجمع تراكيب متشابهة لها دلالة وخصائص تركيبية وإعرابية واحدة»[3]، وبهذا المعنى سيستخدمه الباحث فيما يخص الجملة الاسمية والجملة المنسوخة القصيرة.

وقد رتب الباحث أنماط الجملة الاسمية القصيرة بحسب الترتيب الآتي للمعارف: لفظ الجلالة، ثم الضمير، ثم العلم، ثم اسم الإشارة، ثم المعرف بـ(أل)، ثم المضاف إلى أحد المعارف السابقة، ولم أذكر هنا الموصول؛ لأن فيه استطالة للجملة.

---

(1) أساس البلاغة (نمط)، (473).

(2) لسان العرب، (نمط)،(293/14).

(3) بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين، د.عودة خليل أبو عودة، دار البشير - عمان، ط2/1979م، (164).

النمط الأول: المبتدأ معرفة والخبر نكرة.

وهذا النمط له فروع هي:

1- المبتدأ ضمير، ومن هذا النوع قول حسان:

لَقِينـــــاهم بِهـــــا لَمَّـــــا سَـــــمُونا

ونحـــــنُ عِصـــــابةٌ وهُـــــمُ أَلـــــوفُ [1]

وجاء هذا البيت في سياق افتخار حسان بنصر المسلمين في بدر عندما كانوا جماعة قليلة، والمشركون ألوف فنصرهم الله على المشركين، وفيه اعتزاز بهذا النصر على تلك الحالة، وجملة(ونحن عصابة) جملة حالية تفيد الافتخار بحسب السياق.

ومن معاني (العِصابة) الجماعة من العشرة إلى الأربعين، ومن معانيه مفرد العمامة، [2] وفيه دلالة على تماسك المسلمين.

ومن هذا النمط قول قتيلة بنت الحارث:

يـــــا راكبـــــاً إنّ الأثيـــــلَ مَظَنَّـــــةٌ

مـــــن صـــــبحِ حامســـــة وأنـــــت موفـــــقُ [3]

فجملة (أنت موفق) جاء بناؤها قصيراً، وله علاقة بالحسرة والحزن الذي حل بالشاعرة على أخيها.

ومما جاء فيه المبتدأ ضميرا للغائب، والخبر صفة تدل على الجمع، قول حسان في بني قريظة:

فهـــم صـــرعى تحـــومُ الطيـــرُ فـــيهم

كـــــذاك يـــــدانُ ذو العَنَـــــدِ الفَجُـــــور [4]

وجاءت الجملة القصيرة في بناء جملة مستطيلة إذ تلتها جملة نعتية، و(صرعى) صفة مشبهة على معنى اسم المفعول، أي: مصروعون، والصفة المشبهة تدل على الاتصاف بالصفة على سبيل الثبوت. [5]

ومما جاء بناؤه ضميرا للغائب والخبر اسم فاعل قول حسان:

---

(1) السيرة (26/3).
(2) أساس البلاغة (303).
(3) السيرة (47/3).
(4) السيرة (298/3)، (1/ 417)، (43/4).
(5) اللغة العربية معناها ومبناها (99).

فـــلا تـــذكروا قتلـــى وحمـــزةُ فـــيهم

قتيـــــلٌ ثـــــوى لله وهـــــو مطيـــــع[1]

وجملة (هو مطيع) اسمية جاءت حالية، والخبر (مطيع) وصف جاء على صيغة اسم الفاعل، وهو يفيد اتصاف حمزة ﷺ بتلك الـ□فة، على سبيل التجدد.[2]

ومما جاء من هذا النمط والمبتدأ فيه ضميرا للغائب والخبر اسم مفعول، قول كعب بن زهير:

شُـــجَّت بـــذي شَـــبَمٍ مـــن مـــاءِ مَحْنِيَـــةٍ

صـــافٍ بـــأبطحَ أضـــحى وهـــو مشـــمول[3]

إذا يســـــاورُ قِرنـــــاً لا يحـــــلُّ لـــــه

أنْ يتـــــركَ القِـــــرن إلا وهـــــو مغلـــــول[4]

والجملتان حاليتان، وجاء الخبر فيهما على صيغة اسم المفعول والذي يدل على الاتصاف بتلك الصفة على سبيل التجدد.[5]

ومن هذا النمط في النثر مما جاء ضميره للمتكلم قوله ﷺ: «فجاءني جبريل وأنا نائم.»[6]

ومما جاء ضميراً للمخاطب قوله ﷺ: «لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا و أنتم باكون»، [7] و و يلاحظ أن أغلب الأخبار في الجمل السابقة مشتقة.

ومما جاء المبتدأ فيه ضمير للغائب والخبر مصدر، قوله ﷺ: «قرآن أنزله الله علىّ هو هدى »[8]، »[8]، والمصدر(هدى) يدل على معنى اسم الفاعل، أي: هادٍ، وهذا من تعدد المعنى للمبنى الواحد.

2- المبتدأ علم:

و قد جاء من هذا النمط جمل قليلة في النثر منها جملة: « الله أكبر »[1]، وقول ابن إسحاق: « الله أعلم »[2]، وقوله في ذكر موت كلاب والد قصي: «و زهرة يومئذٍ رجل، و قصي فطيم».[3]

---

(1) السيرة (3/ 160)، (3/16،17)، (4/151).
(2) اللغة العربية معناها ومبناها (99).
(3) السيرة (4/159)، شجت: مزجت، ذي شبم: ماء بارد، محنية: منعطف الوادي، أبطح: المسيل الواسع، مشمول: ضربته ريح الشمال.
(4) السيرة (4/165).
(5) اللغة العربية معناها ومبناها (99).
(6) السيرة (1/273)، (2/244)، (4/92).
(7) السيرة (4/176).
(8) السيرة (4/53)، (4/66).

3- المبتدأ اسم إشارة:

يأتي اسم الإشارة منها تمييز المشار إليه وحضوره في ذهن السامع، وقد يرد لإفادة المدح بحسب السياق، ومنه قول كعب بن مالك:

أولاكَ نجـــــومٌ لا يُغِبّـــــك مـــــنهمُ

عليـــكَ بِـــنَحْسٍ فـــي دُجـــى الليـــلِ طـــالعُ[4]

4- المبتدأ معرف بـ(أل)، ومنه قول ضرار بن الخطاب:

وبـــــالنَّفرِ الأخيـــــارِ هـــــم أوليـــــاؤُه

يحـــامُون فـــي الـــلأْواءِ والمـــوتُ حاضـــرُ [5]

فجملة (الموت حاضر) جملة حالية دلت على اتصاف الموت بالحضور على سبيل التجدد، وهذا دليل على شجاعة الموصوفين الذين يقاتلون في حضور الموت من دون أن يخافوا منه، ومن هذا النمط قول أبي خِراش الهذلي:

إذِ النـــــاسُ نـــــاسٌ والـــــبلاد بِغِـــــرةٍ

وإذْ نحـــــنُ لا تُثْنـــــى علينـــــا المَـــــدَاخِلُ [6]

فجاء النمط على هذا البناء، فالمبتدأ معرفٌ بـ(ال) والخبر نكرة، وهو اسم جامد، واتحد في اللفظ مع المبتدأ، وأفاد ذلك التعظيم والتفخيم لهؤلاء الناس.

ومن هذا النمط في النثر قول أبي بكر ﷺ: «الصدق أمانة، والكذب خيانة.»[7]

5- المبتدأ معرف بالإضافة:

الإضافة تفيد المسند إليه التخصيص أو التعريف، وتعريف المسند إليه بالإضافة له فوائد بلاغية كثيرة، ومما جاء من هذا النمط قول عبد الله بن قيس الرقيات:

كـــــادَه الأشـــــرمُ الـــــذي جـــــاءَ بالفيـــــلِ

فـــــــــولّى وجيشُـــــــــه مهـــــــــزومُ [8]

---

(1) السيرة (122/2).
(2) السيرة (17/1).
(3) السيرة (154/1).
(4) السيرة (59/2).
(5) السيرة (117/3)، (174/3).
(6) السيرة (4/ 125).
(7) السيرة (318/4).
(8) السيرة (95/1)، (17/3،161،151).

فجملة (وجيشه مهزوم) جملة قصيرة، وجاء فيها المبتدأ معرفاً بالإضافة إلى الضمير الذي يربط جملة الحال، والذي يدل على الإيجاز؛ ويغني عن تكرار مرجعه.

ومن هذا النمط في النثر قوله النبي ﷺ: « تنام عيناي و قلبي يقظان».[1]

النمط الثاني:المبتدأ والخبر معرفتان:

إذا جاء الخبر معرفة على خلاف أصله، فإنما يكون ذلك لفائدة بلاغية، إما لإفادة السامع حكماً يجهله، وإما لتعيين الحكم عنده، قال الجرجاني:« إذا قلت: (زيد منطلق)، فأنت في هذا أفدت أن هناك انطلاقا، لكن لا يعلم أمن زيد كان أم من عمر ؟ فإذا قلت: زيد المنطلق، أزلت الشك وجعلت المستمع يقطع بأنه كان من زيد.»[2]

وعندما يكون المبتدأ والخبر معرفتين، اختلف النحاة في تحديد المبتدأ منهما: المتقدم هو المبتدأ أم الأعرف؟، وقد رُجِّحَ أن المتقدم هو المبتدأ.

قال صاحب كشف المشكل: «المبتدأ كل ما ابتدأت به تخبر عنه، معرّىً من العوامل اللفظية، وذلك نحو قولك: (الله ربنا) إذا أخبرت عن الإلهية بالربوبية، و(ربنا الله) إذا أخبرت بالإلهية عن الربوبية»[3]، فالمتقدم عنده هو المبتدأ.

والجرجاني قصر ذلك على النظم، فهو الذي يحدد المبتدأ من الخبر، واستدل على ذلك بقول الشاعر:

بنونا بنو أبنائنا وبناتُنا

بنوهُنَّ أبناءُ الرّجالِ الأَباعِدِ

فقد قدم خبر المبتدأ وهو معرفة؛ لأنه ينوي تقديم المعنى [4]، والذي يترجح عند الباحث أنه إذا وجد مُحَدِّد لأحدهما من خلال السياق، فهو بحسبه كما ذكر الجرجاني، وإذا لم يوجد المحدِّد فالمتقدم هو المبتدأ، وفروع هذا النمط هي:

---

(1) السيرة (13/2)

(2) دلائل الإعجاز في علم المعاني، لعبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر،مكتبة الخانجي - القاهرة، ط2/1989م، (177).

(3) كشف المشكل في النحو، علي بن سليمان الحيدرة اليمني، تح: د.هادي عطية مطر، عمان، ط1، 2002م، (214).

(4) دلائل الإعجاز (374).

أ) المبتدأ ضمير، ويأتي المبتدأ ضمير، وخبره معرفة بحسب أنواع المعارف ومن أنواع هذا الفرع:

1- الخبر ضمير: قد يأتي الضمير خبراً للضمير، ويكون ذلك في تراكيب مخصوصة، لا تدل على مجرد الإخبار.

ومما جاء في السيرة قول عدي بن حاتم: «فوالله إني لقاعد في أهلي إذ نظرت إلى ظعينة تصوب إليّ تؤمّنا، قال: فقلت: ابنةَ حاتم، فإذا هي هي...، قالت: أرى و الله أن تلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله، و إن يكن ملكاً فلن تذلّ في عزّ اليُمن، و أنت أنت، قال: قلت: و الله إن هذا هو الرأي.»[1]

ومثل هذا النمط في التركيب والدلالة قول صفية أم المؤمنين رضي الله عنها: «سمعت عمي وهو يقول لأبي:أهو هو؟ قال: نعم والله.»[2]

فجملة (فإذا هي هي، وأهو هو؟) لا يراد بها مجرد الإخبار، وإنما جاء الضمير لتعيين المخبَر عنه، واكتفى في تعينه بإضمار المبتدأ و الخبر، وهذا التراكيب فيه تحديد وتعيين للمخبر عنه.

وجاء التركيب في الجملة الأولى في سياق إذا الفجائية، وفي الجملة الثانية في سياق الاستفهام، وهذان السياقان يُحتاج فيهما إلى معرفة المخبر عنه، وكل ذلك سوغ تكرار المبتدأ بلفظه.

وأما جملة (وأنت أنت)، فلا يراد بها الإخبار المجرد، وإنما فيها التفخيم والمبالغة في المدح، فهذا التركيب أغنى عن كلام كثير وصفات جمة في المدح، وهذا المعنى زائد على مجرد الإخبار، وهذا يتفق مع ما قاله النحاة مما يسوغ فيه إعادة المبتدأ بلفظه.[3]

وقد يأتي الضمير خبراً عن الضمير لغرض الإفصاح عن الشخص، فتقول: أنت هو، وهو أنت، أو أنا هو، أو أنت هي.

---

(1) السيرة (235/4).
(2)السيرة (132/2).
(3) انظر الكتاب (359/2)، الخصائص (54/3).

2- الخبر علم: يأتي العلم خبراً للضمير، كقولنا: هو زيدٌ، وقد يأتي الخبر لقباً أو كنية، ومنه في السيرة قول ابن إسحاق عن إحدى النساء: « هي أم منيع.»[1]

3- الخبر اسم إشارة: يأتي اسم الإشارة خبراً عن الضمير في جملة قصيرة، وهذا البناء غالباً ما يكون في مقام التعريف أو الإفصاح عن الشخص وتعينه، ومن ذلك: (هو ذاك)، ومن المشهور مجيء اسم الإشارة خبراً لضمير الرفع المنفصل مع (ها) التي للتنبيه، نحو: هأنذا، وها أنت ذا، هأنتم أولاء [2].

4- الخبر معرف بـ(أل): ويأتي المعرف بـ(أل) خبراً للضمير، ومما جاء منه في السيرة: ومن هذا النمط قول حسان:

وقـــال الله قـــد ســـيَّرتُ جنـــداً

هـــم الأنصـــارُ عرضـــتها اللقـــاء [3]

ومن النثر قول أسيد بن حضير للرسول ﷺ: «هو والله الذليل وأنت العزيز»[4]، فالجمل (هم الأنصار – هو الذليل – أنت العزيز) كلها جاء الخبر فيها معرفاً بـ(أل)، وفي هذا التركيب قصر لجنس المعنى الذي يفيده الخبر على المخبر عنه، فلا يوجد ذلك إلا منه.[5]

5- الخبر مضاف إلى معرفة: ويأتي المضاف إلى معرفة خبراً للضمير، ومنه في السيرة قول طالب بن أبي طالب:

همـــا أخـــواي لـــم يُعـــدّا لِغَيَّـــةٍ

تُعـــدُّ ولا يُســـتامُ جارُهمـــا غَصْـــبا [6]

فكأن الشاعر يرفع احتمال كون غيرهما أخويه، وهذا يفيد أيضا مدحاً لهما، إذ يعرف أنهما لم يعدا لِغَيَّة، فمعرفته بهما تجعله ينفي أن يكونا ذليلين، أو يكون جارهما كذلك.

ومنه قول عباس بن مرداس:

فـــإن تـــكُ قـــد أمّـــرتَ فـــي القـــومِ خالـــدا

وقدَّمتَـــــه فإنّـــــه قـــــد تَقَـــــدَّما

(1)السيرة (54/2).
(2) النحو الوافي (225/1).
(3) السيرة (4/ 72).
(4) السيرة (319/3).
(5) دلائل الإعجاز (179).
(6) السيرة (30/3).

بجنـــــــدٍ هـــــداهُ اللهُ أنـــــت أميـــــرُه

نصـــيبُ بـــه فـــي الحـــقِّ مـــن كـــانَ أظلمـــا [1]

ففي البيتين السابقين يخاطب عباس بن مرداس النبي ﷺ، والنبي يعلم أنه أمير للجند، ولكن ما فائدة هذا الخبر؟

إنّ جنداً يقوده النبي ﷺ يكفيه ذلك فخرا، فيكفي فخراً وشرفاً للجند أن يكون النبي ﷺ أميره وقائده، فهذا الذي يريده الشاعر، فشرف الجند من شرف القائد فانظر ماذا أضاف هذا التركيب من معنى.

ب) المبتدأ علم، وهذا الفرع يأتي خبره على أنواع هي:

1- الخبر علم: يأتي العلم خبراً للعلم وجاء منه في السيرة، وقد جاء هذا النمط بإعادة المبتدأ بلفظه لغرض المدح والفخر، قول أحد هوازن:

ومالـــــكٌ مالـــــكٌ مـــــا فوقـــــه أحـــــدٌ

يـــــومَ حنـــــينٍ عليـــــه التـــــاجُ يَـــــأتَلِقُ [2]

وجاء من هذا النمط في النثر جمل علي سبيل التفسير للمبتدأ بالخبر، و من ذلك قول ابن هشام: «والنضر قريش.»[3]

2- الخبر مُعَرَّف بـ(أل): يأتي المعرف بـ(أل) خبرا للعلم، ومنه في السيرة قول نفيل بن حبيب الخثعمي:

أيـــــن المفـــــرُّ والإلـــــه الطالـــــبُ

والأشـــــرمُ المغلـــــوبُ لـــــيس الغالـــــبُ [4]

فجملة (الأشرم المغلوب) جاء فيها المبتدأ علماً، والخبر معرفاً بـ(أل)، ومما ورد من النثر ما ذكره ابن هشام في تفسير الطِّرِمّاح إذ قال: «والطِّرِمَّاحُ الطَّوِيلُ.»[5]

3- الخبر مضاف إلى معرفة: ويأتي الخبر للعلم مضافاً إلى معرفة، ومنه في السيرة قول حسان بن ثابت:

إمـــــا ســـــألتِ فإنَّـــــا معشـــــرٌ نجـــــبٌ

---

(1) السيرة (77/4).
(2) السيرة (127/4).
(3) السيرة (128/1).
(4) السيرة (1/ 87).
(5) السيرة (83/3).

الأَسْـــــدُ نِســـــبتنا والمـــــاءُ غَسَّـــــانُ[1]

ويلاحظ عدم مجيء خبر العلم ضميرا أو اسم إشارة؛ لأنهما يكونان حينئذ للفصل في الغالب، ولا يكتمل بها معنى الجملة مع العلم.

ج) المبتدأ اسم إشارة، والخبر فيه يكون أنواعاً:

1- الخبر علم: يأتي العلم خبرا لاسم الإشارة، ومن هذا النمط قول قريش:« هذا الأمين... هذا محمد» [2]، ومنه:« هذا جبريل» [3]، و« هذا عثمان» [4]، وغالباً ما يكون هذا البناء لمجرد الإخبار بحسب السياق.

2- الخبر معرف بـ(أل): يأتي خبر اسم الإشارة معرفاً بـ(أل)، ومنه قول أمية بن أبي الصلت:

(1) السيرة (42/1).
(2) السيرة (234/1).
(3) السيرة (278/1).
(4) السيرة (408/1).

تلـــك المَكـــارِمُ لا قَعْبـــانَ مـــن لـــبنٍ

شِـــيبا بِمـــــاءٍ فعـــــادا بعـــــدُ أبـــــوالا [1]

ومنه في النثر قول قريش: « هذا الأمين » [2]، وهذا النمط فيه إشارة إلى اكتمال الخصلة في المخبر عنه وحصرها فيه، فجملة (تلك المكارم) فيها حصر للمكارم، بدخول لام الجنس في (المكارم)، وجملة (هذا الأمين)، فيها حصر لمعاني الأمانة واكتمالها في شخصه –ﷺ- وكل ذلك مستفاد من تعريف الخبر بلام الجنس.[3]

3- الخبر مضاف إلى معرفة: يأتي المضاف خبرا لاسم الإشارة، ومن ذلك قول جبريل – عليه السلام – عندما سأله الرسول – ﷺ – عن أناس رآهم في نار جهنم ليلة الإسراء قال: «هؤلاء أكلة الربا.»[4]

و مثل هذا التركيب قول ابن إسحاق عن حيٍّ من الأوس: «وتلك أوس الله»، [5]وقوله: «ذاك ملكهم» [6]، وهذه النمط غالباً يدل على مجرد الإخبار.

4- الخبر ضمير: وهذا النمط يأتي في سياق التنبيه على حضور الشخص في زمان أو مكان معين، نحو: «هذا أنت»، وقد يأتي لغرض التعجب من شخص في مكان ريبة، أو مكان إعجاب[7]، وهذا يدل عليه السياق بالتنغيم.

ويجوز تعاقب اسم الإشارة والضمائر في مجيء كل واحد منها خبراً، أو متبدأ للآخر نحو: هذا هو، هو هذا، هذا أنت، أنت هذا،... الخ.

وفي ذلك دلالة على أنّ الضمائر، وأسماء الإشارة من نوع واحد وفي نفس الدرجة من التعريف.

د) المبتدأ معرَّف بـ(أل)، وأنواع خبره على النحو الآتي:

1- الخبر معرف بـ(أل): يأتي هذا النمط المبتدأ والخبر فيه معرفان بـ(أل)، ومنه قول ابن هشام في تفسير معنى «الطرماح» إذ قال: «الطرماح: الطويل»[8]، وقد يأتي من هذا النمط ما يتكرر فيه المبتدأ بلفظه، ومنه في السيرة قولهﷺ: «بل:

---

(1) السيرة (1 /100)
(2) السيرة (234/1)، (330/3).
(3) الكشاف (113/1).
(4) السيرة (19/2).
(5) السيرة (114/2).
(6) السيرة (98/1).
(7) الكتاب (379/1).
(8) السيرة (83/3).

الدَّمُ الدَّمُ، والهَدْمُ الهَدْمُ»[1]، والمعنى: دمي دمُكم، وهدْمي هدمُكم، أي من قصدني قصدكم.[2]

2- الخبر مضاف: وقد يأتي خبر المبتدأ المعرف بـ(أل) مضافاً، ومنه قوله ﷺ: «والمحيا محياكم، والممات مماتكم»[3]، وقوله: « ما من جريح يُجْرح في الله إلا إلا والله يبعثه يوم القيامة، وجرحُه يُدْمى، اللون لون دم، والريح ريح مسك».[4]

3- الخبر علم: و يأتي خبر هذا النمط علماً، ومنه قول حسان بن ثابت:

إمـــا ســـالت فإنـــا معشـــر نجـــب

الأســـد نســـبتنا والمـــاء غســـان[5]

فجملة (الماء غسان) جاء فيها المبتدأ معرفاً بـ(أل) والخبر علما، وغسان اسم موضع كان شِرباً لولد مازن بن الأسد بن الغوث فسُمّوا به[6]، وسياق البيت يدل على المدح والفخر.

هـ) المبتدأ مضاف: وأنواع هذا الفرع هي:

1- الخبر علم: ويأتي المبتدأ مضافاً والخبر علماً، ومنه في السيرة قول أمية بن أبي الصلت:

(1) السيرة (55/2).
(2) إعراب الحديث النبوي الشريف لأبي البقاء العكبري، تح: عبد الإله نبهان، دار الفكر ـ بيروت، دمشق، ط1/1989م، (323).
(3) السيرة (65/4).
(4) السيرة (109/3).
(5) السيرة (42/1).
(6) السيرة (41/1).

قـــــومي إيـــــادُ لـــــو أنّهـــــم أَمَـــــمُ

أوَلَـــــوْ أقـــــاموا فَتُهْـــــزُلُ الـــــنَّعَمُ [1]

ومنـه فـي النثـر قولـه - ﷺ -: (حسـبنا الله)، [2] وقـول ابـن الثـامر: «ربّـي الله»، [3] والغرض هنا الإخبار بالإلوهية عن الربوبية، ومن هذا النمط قول ابن هشام: «وأُمُّ إسماعيلَ هاجرُ»[4] ومنه قول ابن إسحاق عن أبي الهيثم بن التَّيِّهان: «واسمه مالك.»[5]

2- الخبر المعرف بـ(أل): ويأتي خبر المضاف إلى معرفة معرفاً بـ(أل) ومنه قول كعب بن زهير:

حتـــــى وضـــــعتُ يَمينـــــي مـــــا أنازِعُـــــه

فـــــي كـــــفِّ ذي نَقِمـــــاتٍ قيلُـــــه القيـــــل [6]

ومنه قول ابن الزبعرى:

آمـــــن اللّحـــــمُ والعظـــــامُ لِربـــــي

ثـــــم قلبـــــي الشـــــهيدُ أنـــــت النـــــذير [7]

3- الخبر مضاف إلى معرفة: يأتي خبر المضاف إلى معرفة مضافاً إلى معرفة كذلك، ومنـه قـول عمير بـن وهـب لصـفوان: «أي صـفوان، إنّـه ابـن عمـك، عزُّه عزُّك، و شـرفُه شَـرَفُك، ومُلْكُـه مُلْكُـك »[8]، ومنـه: « فـديني دينُـك»[9]، ويفيـد هـذا التركيـب الحصر.

(1) السيرة (80/1).
(2) السيرة (115/3)
(3) السيرة (69/1).
(4) السيرة (38/1).
(5) السيرة (46/2).
(6) السيرة (165/4).
(7) السيرة (67/4).
(8) السيرة (66/4).
(9) السيرة (422/1).

النمط الثالث: المبتدأ نكرة:

أشرْنا إلى أنّ الأصل عند النحاة أن يكون المبتدأ معرفة، ولا يكون نكرة إلا في حالات يكون لها مسوغ في الكلام يجعلها مفيدة، فالمعول عليه عند النحاة حصول الفائدة[1]، ومن هذا النمط قول أمية بن أبي الصلت:

خلـــــق الله الليـــــل والنهـــــار فكـــــلٌ

مســـــــتبينٌ حســـــــابه مقـــــــدور[2]

إذ دلت النكرة على العموم، وهو مسوغ للابتداء بها.

ومن مسوغات الابتداء بالنكرة التقسيم[3]، ومما جاء منه في السيرة قول مطرود بن كعب الخزاعي:

مَيْـتٌ بِرَدْمـانَ ومَيْـتٌ بسـلمانَ ومَيْـتٌ عنـد غـزاتِ[4]

ومن هذا النمط الوصف العامل عمل فعله نحو: (ما قائم الزيدان)[5]، ومنه في السيرة السيرة قول أبي بصير: «أصارمٌ سيفك هذا.»[6]

---

(1) مغنى اللبيب (608).
(2) السيرة (24/1).
(3) تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد، لابن هشام الأنصاري، تح: عباس مصطفى الصالحي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط1/1986م، (194).
(4) السيرة (175/1).
(5) مغني اللبيب (608، 612).
(6) السيرة (352/3).